

المبحث الرابع
عصر الولاة (95-138هـ / 714-755م)

بعد اكتمال الفتح الإسلامي للأندلس وتعيين عبد العزيز بن موسى والياً عليها تابعاً للخلافة الأموية في دمشق، بدأت مرحلة جديدة من مراحل التاريخ الأندلسي بعهد جديد هو عهد الولاة الذي استمر اثنين وأربعين عاماً تولى خلالها عشرون والياً، حكموا الأندلس⁽¹⁾ في هذه المرحلة بدأ المسلمون بالتعايش السلمي والانفتاح الاجتماعي مع أهل البلاد المفتوحة، إذ قام الوالي عبد العزيز بن موسى التنقل في أرجاء مدينة قرطبة ليلتقي بأهل المدينة مؤكداً لهم بأن الدين الإسلامي دين سمح ويطمئنهم على أولادهم وأموالهم وكنائسهم وأراضيهم بعدم التعرض لهم بل المحافظة عليهم، وإزالة الفوارق الطبقية بينهم وتحرير الناس من الظلم الذي كان سائداً في البلاد، ولم يكتفِ الوالي الأندلسي عبد العزيز بن موسى بهذا، بل تزوج أرملة قائد القوطيين لوذريق ليؤكد لأهل المدينة سماحة الإسلام والمساواة بين الناس⁽²⁾ من خلال قول الله تعالى: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ]⁽³⁾.

إن ما قام به الوالي الأندلسي عبد العزيز بن موسى بن نصير احتج عليه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك فأرسل له رسالة عتاب على هذا الزواج بقوله: "أعجبتك نساء العجم" فكان جواب الوالي بقوله: "نعم أعجبتني، ولكن يا أمير المؤمنين أهل هذه البلاد إذا لم يختلطوا بالمسلمين ونتزوج منهم لن يستقر لنا مقام في هذا البلد"، فكان معظم الجيش الإسلامي من غير المتزوجين فتزوج العديد منهم فنشأ جيل جديد سمي بـ (المولدين) فالأب مسلم وبربري أو عربي والأم نصرانية، فكانت الفكرة الأساس من هذا الزواج الانصهار داخل المجتمع فأتبعه كثير من المسلمين⁽⁴⁾.

لذلك استقبل أهل البلاد المفتوحة المسلمين ولم يبذُ عليهم المقاومة أو النفور، بل رحبوا بهم وتعاملوا معهم واحترموا المسلمين لما قدموه من الخدمات والأعمال الإصلاحية وعدم التفريق والتمييز معهم والتعايش السلمي وعدم إجبار أي شخص على الدخول في الإسلام⁽⁵⁾. وبعد اغتيال الوالي عبد العزيز بن موسى انتقلت عاصمة الأندلس من مدينة إشبيلية إلى مدينة قرطبة لتكون عاصمة الأندلس وتستمر لأكثر من خمسمائة عام لقربها من أهل المغرب ولسهولة الإمدادات، وبعدها عن خطر ممالك الفرنج الشمالية⁽⁶⁾.

بعدها تولى حكم الأندلس ولاة منهم (السمح بن مالك) بأمر من الخليفة الأموي (عمر بن عبد العزيز) في عام (100هـ / 718م) الذي قسّم الأندلس إدارياً إلى (كور) أي مدن وأقاليم، فقد رأى أن البلاد بحاجة لشيين هامين هما سور كبير يحيط بالمدينة ليؤمنها من أي اعتداء خارجي وحاجة المدينة إلى (قنطرة) أي جسر لتسهيل عملية نقل البضائع، وربط مدينة قرطبة بباقي المدن الأندلسية. فاستشار الوالي الخليفة الأموي بذلك فاختار بناء القنطرة لأنها مرتبطة بمعيشة الناس مما نشطت التجارة في الأندلس وأصبحت قرطبة مركزاً تجارياً لتبادل السلع ودخول أنواع كثيرة

(1) السلمي الأندلسي، كتاب التاريخ، ص 135 و 136. مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 156-158. ينظر ملحق رقم (2) خريطة جغرافية توضح حدود بلاد الأندلس والحملات العسكرية في عصر الولاة.

(2) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص 41-44؛ طه، عبد الواحد ذنون، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، 2004م، ص 76-86.

(3) القرآن الكريم، سورة المائدة: الآية 5.

(4) ابن القوطية القرطبي، افتتاح الأندلس، ص 37 و 38؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص 42؛ نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ص 27.

(5) عباس، اللقاء الحضاري في الأندلس - صور من التسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس، الطبعة الأولى، دار الحوراء، بغداد - العراق، 2009م، ص 19 وما بعدها.

(6) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 19-158؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 11 و 72.

من المنتجات الزراعية وقام ببناء طواحين الماء (النواعير) لتوليد طاقة وطحن الحبوب بدلاً من الطريقة التقليدية القديمة في المطحنة التي تجرها الدابة بشكل دائري، وبناء السور باللين⁽⁷⁾.

في عام (102هـ / 721م) هاجم الوالي الأندلسي السموح بن مالك جنوب فرنسا لعدم استقرار الأوضاع فيها واستطاع فتح مدينة (طولوشة) وتأسيس حكومة سبتمانية الإسلامية بعد أن جرت معارك عدة، إلا أن الإمدادات العسكرية التي وصلت من دول أوروبا لمقاتلة المسلمين استطاعت قتل الوالي السموح بن مالك فأخذ بقية جيش المسلمين الوالي (عبد الرحمن الغافقي) الذي حكم بضعة أشهر⁽⁸⁾. وتسلم الولاية خلفاً عنه الوالي (الهيثم بن عبيد)⁽⁹⁾ واختاروا بعده الوالي (محمد بن عبد الله)⁽¹⁰⁾ الذي عزل عن الحكم بعد أن اشتكى الناس منه، وتم تعيين والٍ جديد بدلاً عنه هو الوالي عبد الرحمن الغافقي، ولايته الثانية في عام (112هـ / 730م)⁽¹¹⁾، وقد دامت ولايته سنتين وثمانية أشهر. فقد تم تعيينه من الوالي الأفريقي بموافقة الخلافة الأموية في دمشق⁽¹²⁾. أول ما بدأ به الوالي الأندلسي عبد الرحمن الغافقي في ولايته الثانية تنظيم شؤون الأندلس وذلك بزيارة الأقاليم المختلفة فنظم شؤونها، ووزع إدارتها، وقام بإخماد الفتن وردّ المظالم، وأعاد إلى النصاري كنائسهم وأماكنهم، وعدّل ونظم الضرائب وفرضها على الجميع بالتساوي، وقام بإصلاح الجيش وتنظيمه، فضلاً عن تحصينه القواعد والثغور الشمالية وافتتح على كل فئات المجتمع وأشرك البربر في المناصب الإدارية ووحد القبائل العربية تحت ولايته⁽¹³⁾.

(7) ابن خلدون، العبر، ج4، ص118؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص45-47.

(8) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص26؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص51.

(9) هو: الهيثم بن عبيد الكلابي أو الكناني اختلف المؤرخون في ذلك، وهو أحد ولاة الأندلس تولها عام 111هـ من الوالي الأفريقي وقد كان له حملة جهادية في أقاصي شمال الأندلس. ينظر: ابن عذاري البيان المغرب، ص38؛ ابن خلدون العبر، ج4، ص119.

(10) هو: محمد بن عبد الله الأشجعي، أحد ولاة الأندلس الذي تم توليه الأمر بشكل مؤقت فكانت ولايته شهرين. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص38.

(11) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص39؛ الحجّي، التاريخ الأندلسي، ص193.

(12) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مطبعة ريدنير، مدينة مجريط، 1867م، ص24 و25؛ عنان، محمد، دولة الإسلام في الأندلس - من الفتح إلى نهاية مملكة غرناطة، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - مصر، 1943م، ص79 و80.

(13) أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، بلا ط، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ت، ص97؛ عنان، دولة الإسلام، ص80-81؛ العدوي، إبراهيم أحمد، المسلمون والجرمان - الإسلام في غرب البحر المتوسط، الطبعة الأولى، دار المعرفة، جامعة القاهرة، 1960م، ص188.